الإعلام الجديد والنضال لفائدة اللغة العربية بالمغرب
العرائض الإلكترونية أنموذجا

عبد اللطيف أبي القاسم

مقدمة: يعرف المشهد اللغوي في المغرب وضعا إشكاليا سمته العامة الفوضى التي تميز السياسة اللغوية متجسدة أساسا في التناقض بين مقتضيات النص الدستوري والممارسة العملية في ما يتعلق بواقع اللغة العربية على سبيل المثال (الفاسي الفهري، 2019؛ الدحماني، 2018؛ بنيس، 2023). فإذا كان الدستور المغربي ينص على كون اللغة العربية تظل لغة رسمية للدولة، فإن الواقع يبرز حضورا قويا للغة الفرنسية التي تنازع العربية في المجال العام وتزاحمها بل وتحول دون اضطلاعها بوظائفها الاستراتيجية في مجالات الاقتصاد والتعليم العالي العلمي (بونعمان، 2014، 184).

ولئن كانت بدايات هذا الوضع الإشكالي تعود إلى سياسات لغوية اتخذتها فرنسا بالمغرب خلال فترة الحماية/الاستعمار، فإن الأمر استمر بعد حصول المملكة على الاستقلال حيث ظل اللسان الفرنسي "حتى الآن هو اللسان المسيطر في النظام التعليمي منذ المراحل الابتدائية وحتى أسلاك التعليم العالي والبحث العلمي، على الرغم من مشاريع التعريب التي فشل الواحد منها تلو الآخر" (بلقزيز، 2011، 26) بشكل جعل اللغة العربية الفصيحة "محاصرة من جهات عديدة لا تمثل حقيقة مواقف الشعب الإيجابية تجاه العربية، ولا تمثل رأي الأغلبية الفعلية" (الفاسي الفهري، 2012، 45).

ومثلما وجدت اللغة العربية مناصرين لها من أبناء الحركة الوطنية خلال فترة الاستعمار الفرنسي، فإنها تجد لها اليوم مناصرين من مواطنين وجمعيات مدنية تسعى للترافع لفائدتها، والحث على احترام المقتضيات الدستورية التي تخولها فعليا موقع اللغة الرسمية في مواجهة "الافتراس الفرنكفوني" (الفاسي الفهري، 2019)، والإقصاء الذي يحرم أغلبية السكان من الحصول على فرص التنمية الاقتصادية، الاجتماعية، والاندماج الفاعل في الممارسة الديمقراطية وولوج مصادر القرار (غاليم، 2021).

وفي سياق عالمي يتسم باتساع رقعة الولوج إلى الانترنيت، أتاح ما بات يعرف بالإعلام الجديد العديد من الأدوات التي يمكن للنشطاء اللغويين توظيفها في إطار ديناميات النضال والترافع التي تروم خدمة لغة يرون أنها مهمشة في الفضاء العام، أو على الأقل لا تحظى بالمكانة المخولة لها قانونيا، كما هو الحال بالنسبة للغة العربية بالمغرب. ويندرج توظيف هذه الآليات ضمن ما يسمى بالنضال اللغوي الرقمي الذي يتيح قدرة كبيرة على الحشد وإيصال الرسائل تمكن المواطن العادي من توسيع نطاق تأثيره بحيث يستقطب عددا أكبر من المتعاطفين ويقلص من كلفة عمله في وقت واحد (McNutt, 2014).

وتعد العرائض الإلكترونية واحدة من أبرز هذه الأدوات باعتبارها تتميز بسهولة تفعيلها وقدرتها على حشد الرأي العام واستقطاب الكثير من المؤيدين في وقت وجيز (Noshokaty et al, 2016)، علاوة أنها تعد بشكل عام ذات فاعلية وتأثير قوي في مسار إعداد السياسات العمومية، وعبرها يتجسد واقعيا توسيع هامش مشاركة المواطنين والمجتمع المدني فيها (التجاني، 2020، ص 59). ولعل هذا ما يفسر التنامي الذي شهدته المنصات الإلكترونية على شبكة الانترنيت التي تقدم خدمة إنشاء العرائض والتوقيع عليها. ومن أبرز هذه المنصات هناك منصتا change.org، وavaaz.org اللتين تم إنشاؤهما سنة 2007 ويشهد الواقع على أن الكثير من العرائض الإلكترونية الموقعة عبرهما أسهمت في تحقيق نجاحات غير مسبوقة من حيث التأثير على صانع القرار السياسي وتحقيق الهدف الذي أحدثت لأجله، ومكنت ملايين الأشخاص حول العالم من إطلاق حملات على المستوى المحلي والوطني والدولي والفوز بها، من قبيل مكافحة الفساد والفقر والتغير المناخي وغيرها.

هدف الدراسة: وإذا كانت الدراسات والأبحاث التي تناولت الجهود والمبادرات والمدنية في خدمة اللغة العربية متعددة، فإن الباحث لم يقف على دراسات سابقة تناولت توظيف العرائض الإلكترونية في هذا المجال، وهي الثغرة التي تسعى هذه الدراسة إلى المساهمة في سدها. ومن هذا المنطلق، هدفت هذه الدراسة إلى التوقف عند توظيف المترافعين لفائدة اللغة العربية بالمغرب لآلية العرائض الإلكترونية وتحديد مبررات إطلاقهم لها وطبيعة الرسائل والمطالب التي يريدون إيصالها إلى الفاعل السياسي والمدني عبرها، وكذا مساءلة مدى فعاليتها وتعزيز هذه الفاعلية بتوظيف الإعلام الجديد.

أسئلة الدراسة: وتبعا لذلك، فإن هذه الدراسة حاولت الإجابة عن ثلاثة أسئلة هي: 1) ما مدى توظيف النشطاء اللغويين المترافعين لفائدة اللغة العربية بالمغرب لآلية العرائض الإلكترونية باعتبارها أداة ضغط على الجهات الحكومية؟ 2) ما هي مرتكزات هؤلاء النشطاء وما المطالب التي يرفعونها؟ 3) ما مدى إفادة هؤلاء النشطاء مما يتيحه الإعلام الجديد لتعزيز نجاعة عرائضهم؟

1. الإطار المفاهيمي والنظري للدراسة:

1.1. المفاهيم الإجرائية للدراسة:

أ- **الإعلام الجديد:** يعرف قاموس التواصل والدراسات الإعلامية (Watson & Hill, 2012) الإعلام الجديد بكونه يحيل بشكل خاص على الإمكانيات التي يتيحها الحاسوب ووسائل الاتصال بما في ذلك الانترنيت وكل تجلياته (ص 196). ويقصد بالإعلام الجديد في هذه الدراسة مختلف المنصات التي تتيح تداول المعلومات عبر شبكة الانترنيت بما في ذلك المواقع الإلكترونية ومنصات التواصل الاجتماعي مع

ما يرافق ذلك من تفاعل بين مستخدميها بتوظيف مختلف أنواع المحتوى الرقمي من نص وصورة ومقاطع فيديو ورسوم بيانية وغيرها.

ب- **العريضة الإلكترونية:** يعرف قاموس كامبردج (Cambridge dictionary, 2020) العريضة (Petition) بكونها وثيقة موقعة من طرف عدد كبير من الناس يطالبون فيها أو يدعون من خلالها إلى تحرك معين من طرف الحكومة أو أي سلطة أخرى. ومع التطور التكنولوجي، برزت العرائض الإلكترونية التي لا تختلف في شيء عن العريضة الورقية سوى من حيث طبيعة الحامل. فالعرائض التي كانت تكتب على الورق ويتم نشرها في الجرائد أو إرسالها إلى الأجهزة الحاكمة بعد جولات ميدانية تتطلب الالتقاء بالمؤيدين لحشد توقيعاتهم على الورق، تتخذ في السياق الرقمي من الانترنيت وسيلة للانتشار ولا يتطلب توقيع المؤيدين لها أكثر من نقرة على زر دون الحاجة للخروج من المنزل.

ج- **النضال اللغوي:** تعرف كامبز وبينفيلد (Combs, Penfield, 2012) النضال اللغوي بوصفه ذلك الجهد العملي الذي يقوم به النشطاء اللغويين الذين يعملون، من خلال وسائل متعددة، وبشكل نشط، على الدفاع عن حقهم في تعظيم لغتهم واستعمالها بحرية في مختلف الفضاءات العمومية (ص، 460). أما شوهامي (Shohamy, 2006, 159)، فتعرفه بكونه النشاط الذي يحيل على التدابير التي يمكن أن يقوم بها المتخصصون في اللسانيات والأساتذة وعموم الناس من أجل فتح النقاش بخصوص السياسة اللغوية باعتبارها أداة للسلطة يتعين بحثها انتقادها. وبهذا المعنى فإن النشطاء اللغويين هم أولئك الأشخاص الذين اختاروا تركيز جهودهم على إقناع حكوماتهم على دعم هذه الجهود لتمكين أو إقناع مواطنيهم بضرورة الحفاظ على إرثهم اللغوي أو استعادة استعماله. (Spolsky, 2009, 258).

د- **النضال الرقمي:** يحيل مفهوم النضال الرقمي (Digital Activism) **أو** (Media Activism) على مجموع أنشطة الانتقاد والاحتجاج التي تتم عبر الانترنيت وتستهدف سلطة أو مؤسسة اقتصادية أو ممارسات لشركات معينة، يقوم به أفراد أو جماعات توظف المواقع والصحف الإلكترونية في سبيل تحقيق أهدافها (Watson & Hill, 2012, 172).

هـ- **اللغة العربية:** يقصد باللغة العربية في هذه الدراسة اللغة العربية الفصيحة أو ما يطلق عليها العربية المعيارية المعاصرة (Modern standard Arabic) التي تستعمل في الكتابة مقابل العامية التي تستعمل في البيت والشارع. (الفاسي الفهري، 2019).

1.2. الإطار النظري للدراسة:

تتأطر الدراسات المتعلقة بالعرائض الإلكترونية باعتبارها شكلا من أشكال النضال وأداة للتغيير السياسي والاجتماعي والاقتصادي ضمن ما يعرف بنظرية **المجال العمومي الافتراضي**؛ وهو مفهوم مطور للفكرة التي طرحها الفيلسوف الألماني يورغن هابرماس عن **المجال العمومي** باعتباره مجالا يتشكل فيه الرأي العام ويكون الولوج إليه متاحا ومضمونا لجميع المواطنين يعبرون فيه عن آرائهم ويتقاسمونها بحرية (مركز هردو

لدعم التعبير الرقمي، 2018، 9). وبتعبير مايك شيفر، فإن *"المجال العمومي الافتراضي يعد بمثابة مجال للاتصال تنتجه الميديا الاجتماعية أو تسانده. وتكون المشاركة في مواقع الشبكات الاجتماعية مفتوحة بكل حرية لكل المهتمين، ويمكن للقضايا ذات النفع العام أن تناقش، وتكون المناقشة ظاهرة للجميع"*. (كما ورد في: العياضي، 2023، 214). وبهذا المعنى، يمكن النظر إلى المنصات الإلكترونية التي تتيح إطلاق العرائض عبر الانترنيت باعتبارها واحدا من تجليات المجال العمومي الافتراضي بالنظر إلى ما تتيحه من إمكانية التعبير الحر عن الآراء من خلال مباشرة إطلاق العرائض التي تشكل تعبيرا عن رأي مواطن أو مجموعة مواطنين في قضية عامة، أو التوقيع عليها أو المشاركة في النقاش الذي تطرحه من خلال خانة التعليقات التي توفرها. أما حين يوظف مطلقو هذه العرائض للمواقع الإخبارية الإلكترونية والمدونات ووسائل التواصل الاجتماعي من قبيل (فيسبوك) و(تويتر) و(انستغرام) للترويج لمبادراتهم والتعريف بها، فإن ذلك يعزز قدرتهم على حفز الوعي بالقضية التي يدافعون وحشد مزيد من الأنصار وممارسة مزيد من الضغط على الجهات المستهدفة بالعريضة.

2. الإطار المنهجي للدراسة

2.1. نوع ومنهج الدراسة: تعد هذه الدراسة دراسة وصفية وظفت **المنهج المسحي الوصفي التحليلي** لبحث واقع توظيف النشطاء الذين يترافعون لفائدة اللغة العربية بالمغرب لأداة العرائض الإلكترونية لتحقيق مطالبهم. كما وظفت الدراسة **منهج دراسة الحالة** حيث تم تناول أحد نماذج هذه العرائض لبحث مدى نجاعته.

2.2. مجتمع وعينة الدراسة: يتمثل **مجتمع الدراسة** في العرائض الإلكترونية التي أطلقها النشطاء المترافعون عن اللغة العربية في المغرب، فيما تشمل **عينة الدراسة** جميع العرائض التي أطلقوها على منصتي Change.org وAvaaz.org اللتين تعتبران أشهر منصتين تقدمان خدمة إطلاق العرائض على شبكة الانترنيت، وأكثرهما استقطابا للمبادرين إلى إطلاق العرائض والموقعين عليها (حوالي 512 مليون شخص على change.org). وللعثور على هذه العرائض، أدرج الباحث تواليا عددا من الكلمات والعبارات في خانة البحث التي تتيحها منصة Change.org وعلى محرك البحث Google. وضمت هذه التوليفات كلمات (اللغة العربية – change.org – المغرب – عريضة، عدالة لغوية، Avaaz). وأفضت عملية المسح هذه إلى إيجاد ست (6) عرائض إلكترونية أطلقها نشطاء مغاربة يمثل **الشكل (1)** نموذجا لإحداها، فيما يوضح **الجدول (1)** عناوينها والمعطيات المتعلقة بها.

2.3. أدوات الدراسة: وظفت الدراسة **استمارة لتحليل مضمون** العرائض. كما وظفت الدراسة تقنية **المقابلة المقننة** مع مطلق العريضة التي تم تطبيق دراسة الحالة عليها، وذلك ليتمكن الباحث من تقييم أمثل لنجاعة العرائض ووقعها الميداني، ومدى توظيفها للإمكانيات التي يتيحها الإعلام الجديد. وهمت أسئلة المقابلة

التي جرت عبر **تطبيق التواصل الفوري "واتساب"** أهداف العريضة وحصيلتها وجدواها والتفاعل المدني والرسمي معها، وإفادتها من الإعلام الجديد.

الشكل (1) نموذج لإحدى العرائض التي تم إطلاقها على منصة Change.org

المصدر: https://shorturl.at/bvy79

2.4. حدود الدراسة: انحصرت الحدود المكانية للبحث في دولة المغرب، فيما يغطي المجال الزمني للبحث الفترة ما بين سنة 2007، وهي سنة إطلاق منصتي change.org و Avaaz.org ويوليوز من سنة 2023. وواجه الباحث خلال إعداد هذه الدراسة عددا من الصعوبات التي قد تؤثر على نتائجها، ومن بينها كون المنصتين الإلكترونيتين لا تتيحان معرفة عدد المنخرطين فيهما من المغاربة، مثلما لا تتيحان التعرف دائما على الاسم الكامل للجهة التي أطلقت العريضة. كما أن هناك صعوبة أخرى تمثلت في كون موقع Avaaz.com على سبيل المثال لا يتيح إمكانية البحث داخله عن العرائض بتوظيف كلمات مفتاحية.

3. نتائج الدراسة:

3.1. نتائج تحليل مضمون العرائض الإلكترونية والبيانات المتعلقة بها:

يكشف الاطلاع على العرائض الإلكترونية التي شملتها الدراسة وتحليل مضمونها عن مجموعة من المعطيات المتعلقة بتواريخ إطلاق هذه العرائض، ومرتكزاتها والمطالب التي رفعتها، وعدد الموقعين عليها، والموارد الداعمة التي وظفتها من صورة إيضاحية وروابط إلكترونية، وغير ذلك. وتتمثل أبرز النتائج التي يمكن استقاؤها من هذه المعطيات في الآتي:

3.1.1. مرتكزات متنوعة في الترافع لفائدة اللغة العربية: يبرز من استقراء النصوص الكاملة للعرائض الإلكترونية التي شملتها الدراسة التنوع في المرتكزات التي تستند إليها، ومن ذلك:

المنصة	عنوا ن العريضة ورابطها الإلكتروني	تاريخ إطلاق العريضة	عدد تحيينات العريضة	الجهة المبادرة لإطلاق العريضة	الجهة المستهدفة بالعريضة	موارد داعمة لنص العريضة	عدد التوقيعات
Change.org	نعم للعدالة اللغوية في المغرب ولا للفرنسة. https://shorturl.at/bvy79	22 غشت 2022	10	شخص ذاتي	لا إشارة للجهة المستهدفة	روابط إلكترونية لمقالات ذات صلة، صورة إيضاحية.	13580
	اعتماد اللغة الانجليزية بدل الفرنسية بالمغرب. https://shorturl.at/myCR7	17 شتنبر 2021	0	شخص ذاتي	المغاربة، Marocain، מרוקאי Moroccan، Marroqui، Marocchino، Marroquino، Marokkanish	صورة إيضاحية	4493
Avaaz.org	كلنا ندعم اللغة العربية في المغرب أمام اللغات الأجنبية ونطالب باستعمالها في جميع المجالات. https://shorturl.at/amH19	9 أبريل 2019	1	شخص ذاتي	الحكومة والفاعلون الوطنيون والمحليون	صورة إيضاحية.	60
	عريضة شعبية من أجل المطالبة بتعديل القانون الإطار "من أجل عدالة لغوية" https://shorturl.at/ceiln	31 مارس 2019	1	الائتلاف الوطني من أجل اللغة العربية	رئيس الحكومة	صورة إيضاحية	غير محدد
	تدريس اللغة الانجليزية بدل الفرنسية في مدارس المغرب حق دستوري. https://shorturl.at/hORY6	27 يونيو 2019	0	شخص ذاتي	الحكومة ووزارة التعليم والتعليم العالي	صورة إيضاحية.	80
	عريضة من أجل إخراج أكاديمية محمد السادس للغة العربية وتمكينها من شروط الاشتغال اللازمة. https://shorturl.at/fFIJP	28 ماي 2013	1	الائتلاف الوطني من أجل اللغة العربية	رئيس الحكومة، وزراء التعليم العالي، والثقافة، والاتصال، والتربية الوطنية، والوظيفة العمومية	صورة إيضاحية.	610

الجدول (1): قائمة العرائض الإلكترونية التي أطلقها النشطاء المغاربة ترافعا عن ا للغة العربية على منصتي Change.org و Avaaz.org

المصدر: إعداد الباحث

أ- **المرتكز القانوني/ الديمقراطي:** يستند هذا المرتكز على كون اللغة العربية لغة رسمية للدولة بمنطوق الفصل الخامس من الدستور الذي ينص على مسؤولية الدولة على تطويرها وتنميتها، وعلى كون احترام إرادة الشعب الذي صوت على هذا الدستور يعد من صميم تفعيل مبادئ الديمقراطية. وتفعيلا للقوانين أيضا، تدعو بعض العرائض التي شملتها الدراسة إلى إخراج أكاديمية محمد السادس للغة العربية التي نص عليها الميثاق الوطني للتربية والتكوين سنة 1999 إلى حيز الوجود (بوعلي، 2013). من جهة أخرى، اعتبرت إحدى العرائض أن *"إصرار مسؤولين ومؤسسات رسمية على استخدام الفرنسية أثناء تواصلهم مع المغاربة يعتبر إهانة للنصوص القانونية والرسمية المؤكدة لرسمية اللغة العربية"* تماما مثلما أن *"المس باللغة الرسمية مس خطير وصريح بسيادة البلاد نفسها"* (البصري، 2022).

ب- **المرتكز الهُوِّي:** (من الهوية) وفقا لهذا المرتكز، فإن تكريس توظيف اللغة الفرنسية في المجال العام يشكل ضربا للهوية المغربية، ويرسخ فكرة التبعية لفرنسا، وهو ما يمس بشكل مباشر وخطير سيادة واستقلال البلاد (البصري، 2022).

ج- **المرتكز الحقوقي:** تستحضر بعض العرائض أن إعادة الاعتبار للغة العربية والتمكين لها باعتبارها لغة رسمية إنما هو تفعيل لحقوق وحريات متعددة منها "الحق في الاستقلال اللغوي"، و"حرية الطالب أو ولي أمره في اختيار اللغة التي يدرس بها" (نعم للانجليزية بدل الفرنسية بالمغرب، 2021). كما أن بلوغ مراتب متقدمة في التعليم العالي متاح لفئة محدودة جدا بسبب الاقتصار على اللغة الفرنسية في بعض التخصصات ما يعد بمثابة تمييز وضرب صريح لمبدأ المساواة (البصري، 2022). ورفعت عريضة من هذه العرائض شعار "نعم للعدالة اللغوية" بكل ما يحيل عليه من حمولة حقوقية.

د- **المرتكز المعرفي/ التنموي:** وفقا لهذا المرتكز، فإن اللغة العربية لغة عالمية "أثبتت قدرتها على استيعاب العلوم والتقنيات" ما ينفي عنها صفة العجز عن أن تكون لغة تدريس للعلوم مقارنة مع اللغة الفرنسية. ويدفع هؤلاء في المقابل بأن الاستمرار في التدريس باللغة الفرنسية يعرقل التنمية بالبلاد حيث لم ينفع الجامعة المغربية في شيء سيما وأنها ظلت غائبة عن تصنيفات أفضل ألف جامعة في العالم (البصري، 2022). وتوقفت إحدى العرائض عند ضرورة التحول نحو اللغة الانجليزية في التدريس "بدل رهن مستقبل هذا الوطن في لغة (فرنسية) تموت يوما بعد يوم" (نبيل، 2019). علاوة على ذلك، يُسائل مطلقو العرائض جدوى التدريس باللغة الفرنسية في المغرب مع أن "الأرقام المعلنة تشير إلى أن 80 في المائة من التلاميذ المغاربة غير متمكنين من الحد الأدنى من كفايات اللغة الفرنسية المسطرة" (البصري، 2022).

3.1.2. مطالب ترتبط في المجمل بقطاع التعليم:

من خلال جرد قائمة المطالب المعبر عنها في العرائض الإلكترونية قيد الدراسة، تبين أن معظمه له صلة بالترافع لفائدة تعزيز حضور اللغة العربية في التعليم والحد من اعتماد اللغة الفرنسية لغة للتدريس وفي ما يلي أبرز هذه المطالب:

- حذف اللغة الفرنسية من الوثائق والمراسلات الرسمية والإدارات العمومية واعتماد اللغة العربية فقط؛
- تعزيز حضور اللغة العربية في جميع المجالات من إدارة وتعليم وإعلام وفضاء عام؛
- تعريب التعليم الجامعي في ما يخص جميع الشعب العلمية والتقنية؛
- عدم رهن مستقبل أبناء المغاربة ومعهم المغرب للغة الفرنسية كلغة للتدريس؛
- التحول نحو اللغة الإنجليزية وتدريسها ابتداء من المستويات التعليمية الأولى، وإدماجها في الإعلام؛
- إخراج أكاديمية محمد السادس للغة العربية إلى حيز الوجود.

3.1.3. توظيف متأخر للعرائض الإلكترونية وضعف في عددها وقدرتها على الحشد:

تحيل المعطيات الرقمية التي توفرها صفحات العرائض الإلكترونية قيد الدراسة في المجمل على لجوء متأخر للنشطاء إلى توظيف هذه الآلية في مسار الترافع لفائدة اللغة العربية، وقدرة متواضعة على حشد التوقيعات والمناصرين. فبالنظر إلى تواريخ إطلاق هذه العرائض، يبرز أنها حديثة جدا مقارنة مع سنة إطلاق منصتي Change.org و Avaaz.org، وهي سنة 2007. ذلك أن خمسة من ضمن العرائض الستة لم يتم إطلاقها سوى ابتداء من سنة 2019. بينما تعود العريضة الأقدم من بين هذه العرائض إلى سنة 2013.

من جهة أخرى، يشير عدد التوقيعات التي حشدتها هذه العرائض الإلكترونية في المجمل إلى ضعف في قدرة أصحابها على استقطاب مناصرين رغم سهولة القيام بعملية التوقيع التي لا تتطلب أكثر من الضغط على زر التوقيع من أي حاسوب أو هاتف محمول ودونما حاجة للتنقل. فباستثناء عريضة "نعم للعدالة اللغوية في المغرب، لا للفرنسة" التي حشدت أزيد من 13 ألف و500 توقيع، وعريضة اعتماد اللغة الانجليزية بدل الفرنسية بالمغرب التي حشدت حوالي 4500 توقيع، فإن عريضتين اثنتين أخريين لم تتجاوزا 100 توقيع فيما بلغت عريضة ثالثة 610 توقيعات فقط. ويبدو أنه لم يكن لطول مدة حضور العريضة على المنصة الإلكترونية تأثير على عدد التوقيعات، حيث إن العريضة الأكثر حشدا للتوقيعات (نعم للعدالة اللغوية..) لم تكمل بعد عامها الأول إلى حين كتابة هذه السطور (7 يوليوز 2021)، بينما لم تسجل أقدم عريضة منها (سنة 2013) سوى 610 توقيعات.

3.1.4. تحيين ضعيف للعرائض وتوظيف متواضع للموارد الداعمة لها:

يشكل تحيين العرائض الإلكترونية فرصة لإعادة بث الروح فيها وإطلاق موجة لحشد موقعين جدد عليها من خلال إضافة عناصر داعمة جديدة، أو استعراض الأهداف المرحلية التي حققتها. ويشير عدد تحيينات العرائض التي شملتها الدراسة إلى أنه نادرا ما يتم اللجوء لهذه التقنية، وأن العريضة الأكثر حشدا للتوقيعات كانت الأكثر توظيفا لعملية التحيين بواقع عشر تحيينات. ويتعلق الأمر هنا بعريضة *"نعم للعدالة اللغوية في المغرب، لا للفرنسة"* التي نشر أصحابها عددا من التحيينات المواكبة لحملتهم شملت مستجدات تؤشر

على الوقع الذي أحدثته العريضة. من جهة أخرى، سجلت الدراسة أن النشطاء وظفوا عددا من الموارد الداعمة لنص العريضة تتوزع بين أشكال وصور إيضاحية وروابط إلكترونية ووثائق تقدم فكرة أعم عن مغزى العريضة من أجل إقناع مستخدمي الانترنيت بالتوقيع عليها. وتكشف مختلف هذه الأشكال والصور الإيضاحية عن عبارات تعتبر اللغة الفرنسية آيلة للموت (الشكل 2)، وتؤكد أن "المغرب ليس مقاطعة فرنسية" (الشكل 5)، وصور للعلم الفرنسي مشطوبا عليها بعلامة (×) باللون الأحمر كناية عن رفض اللغة الفرنسية (الشكلان 3 و5)، إلى جانب صورة تحمل حرف الضاد، الذي يحيل على اللغة العربية، محاطة برسم زخرفي يميز التراث المغربي في الرسم على الزليج، بشكل يوحي على الهوية المغربية، وهذه الصورة هي في واقع الأمر (لوغو) للمرصد المغربي للغة العربية التابع للائتلاف الوطني من أجل اللغة العربية (الشكل 4).

والملاحظ أن عريضة ***"نعم للعدالة اللغوية في المغرب، لا للفرنسة"***، هي التي وظفت أكثر عدد من الموارد الداعمة، عكس باقي العرائض التي اتسم توظيفها لهذه الموارد بالتواضع. ومن الموارد التي وظفتها العريضة المذكورة هناك مواد إعلامية ومقالات ومقاطع فيديو تنتقد جلها ما تصفه بتغول اللغة الفرنسية بالمغرب، والسياسة اللغوية لفرنسا لفائدة لغتها على حساب اللغات المحلية للدول التي استعمرتها.

<table>
<tr>
<td>
</td>
<td>
</td>
</tr>
<tr>
<td>الشكل (2): عبارة مرفقة مع عريضة "تدريس اللغة الانجليزية بدل الفرنسية في مدارس المغرب حق دستوري".
المصدر : https://shorturl.at/hORY6</td>
<td>الشكل (3): صورة إيضاحية مرفقة مع عريضة "اعتماد اللغة الانجليزية بدل الفرنسية بالمغرب".
المصدر : https://shorturl.at/myCR7</td>
</tr>
<tr>
<td> </td>
<td>
</td>
</tr>
<tr>
<td>الشكل (4): لوغو إيضاحي مرفق عريضة من أجل إخراج أكاديمية محمد السادس للغة العربية وتمكينها من شروط الاشتغال اللازمة.
المصدر : https://shorturl.at/fFIJP</td>
<td>الشكل (5): صورة إيضاحية مرفقة مع عريضة نعم للعدالة اللغوية في المغرب ولا للفرنسة.
المصدر : https://shorturl.at/bvy79</td>
</tr>
</table>

3.2. نتائج دراسة الحالة عريضة "نعم للعدالة اللغوية في المغرب، لا للفرنسة":

اتخذ بالباحث من عريضة "نعم للعدالة اللغوية في المغرب، لا للفرنسة"، حالة للدراسة قصد الوقوف على فعاليتها، وأجرى لهذا الغرض مقابلة مقننة مع مطلقها السيد عبد الناصر البصري الذي اعتبر أن عدد التوقيعات التي حشدتها العريضة (13 ألفا و584 توقيعا) "رقم كبير وجيد جدا" سيما وأن الأغلبية الساحقة للتعليقات التي نشرها مستخدمو الانترنيت على صفحتها كانت مؤيدة لمضمونها. ويعزى هذا النجاح إلى أسباب متعددة من بينها أن تحرير الصيغة النهائية للعريضة جاء نتيجة مشاورات مطولة مع مؤيدين لفكرتها ينتمون لتيارات أيديولوجية مختلفة، ومع مختصين في مجال اللسانيات والسياسة اللغوية، إلى جانب كونها حظيت بمتابعة إعلامية مهمة. وتتجلى جدوى العريضة، حسب مطلقها، في أنها قد أفضت إلى إطلاق عدد من المبادرات والخطوات والتفاعلات داخل المغرب وخارجه سواء في الفضاء الرقمي أو على أرض الواقع، وهي المبادرات التي يذكر منها مُطلق العريضة ما يلي:

أ- مبادرات وتفاعلات في الفضاء الرقمي:

- إطلاق موقع إلكتروني تحت مسمى "المنصة العربية" https://www.alarabiya.ma/. وهي منصة تروم أساسا الترافع من أجل تدريس العلوم بالمغرب باللغة العربية وليس بلغة أجنبية أخرى؛
- إطلاق تطبيق إلكتروني للمنصة وصفحة خاصة بها على موقع التواصل الاجتماعي (فيسبوك) يبلغ عدد متابعيها إلى حدود كتابة هذه السطور أكثر من 42 ألف متابع؛
- إطلاق منصة "لا للفرنسة" https://www.notofrench.com وهي مبادرة غير ربحية تقوم على طباعة شعارات داعمة للعربية على الأقمصة (انظر الشكل 6 و7) وبيعها؛ ومن هذه الشعارات (العربية تجمعنا)، و(عربيتي هويتي)، و(العلم نور)، و(المغرب، العربية لغتي، لا للفرنسة)؛

الشكل (6): سترة تحمل عبارة "العربية تجمعنا".
المصدر: https://www.notofrench.com

الشكل (7): سترة تحمل عبارة "عربيتي هويتي".
المصدر: https://www.notofrench.com

- تنظيم مساحات حوارية ولقاءات مباشرة على موقع (يوتيوب) وعبر "Google Meet" حملت عناوين "لا للفرنسة" و"كم تكلفنا الفرنسية؟ كيف نحسب خسائر انحراف السياسة اللغوية في منطقتنا؟".

- إحياء النقاش حول السياسة اللغوية بالمغرب وضرورة إعادة الاعتبار للغة العربية في المنظومة التعلمية.
- حضورا ملحوظا على شبكات التواصل الاجتماعي حيث تصدر انتشر وسم "لا_للفرنسة" على (فيسبوك) و(تويتر) وحظي بمشاركات كثيرة (هسبريس، 25 غشت 2022).

وتجدر الإشارة إلى أن هذا الحضور البارز للمبادرات الرقمية يعزى، من بين أمور أخرى، إلى كون مطلقها مختص في علم البيانات وتطوير البرمجيات والذكاء الاصطناعي، وهو من أشرف على كل هذه المبادرات.

ب- خطوات وتفاعلات على أرض الواقع:

أفضى إطلاق عريضة "نعم للعدالة اللغوية، لا للفرنسة" إلى إطلاق مبادرات ميدانية وتفاعلات من طرف المواطنين والإعلام الذي تناقل خبر إطلاق العريضة على نطاق واسع. ومن الآثار الميدانية المباشرة للعريضة، بحسب مطلقها، يمكن الحديث عن:

- تفاعل عدد من آباء وأولياء الأمور مع دعوة مطلقي العريضة إلى مراسلة المدارس التي لا توفر خيار استكمال تدريس المواد العلمية باللغة العربية بالسلك الإعدادي، ومطالبتها بتوفيره، وهو ما أفضى إلى قبول عدد من المدارس للطلب من خلال إعادة فتح "خيار عربية".
- تأسيس تنظيم جمعوي يحمل اسم "تكتل الأساتذة المطالبين باللغة العربية في التعليم" في طنجة 29 أكتوبر 2022، قام ببعض الحملات على أرض الواقع من بينها خوض إضراب للتعبير عن رفض اعتماد الفرنسية لغة لتدريس المواد العلمية في السلك الاعدادي والثانوي.
- إصدار تنظيم جمعوي يحمل اسم "تنسيقية أساتذة الفيزياء والكيمياء" بيانا بتاريخ 12 أكتوبر 2022 يطالب بتدريس بالإبقاء على مسلك "خيار عربية" وضمان حق المتعلمين في اختياره.

ج- ردود فعل غير مباشرة:

يرى مطلق العريضة أن النقاش الذي أفضت إليه العريضة كان من العوامل المساهمة، وإن بشكل غير مباشر، في الدينامية التي شهدها الترافع لفائدة اللغة العربية. ومن تجليات هذه الديناميات بعض الأسئلة التي طرحها نواب برلمانيون على الحكومة في ما يتعلق بتعزيز مكانة اللغة العربية في التعليم والإدارة والفضاء العام. وإذا كان مطلق العريضة أكد عدم وجود تفاعل مباشر من طرف الجهات الحكومية مع العريضة، إلا أنه اعتبر أن ردود الفعل غير المباشرة هذه أفضت بشكل من الأشكال إلى تفاعل الحكومة، وهو ما تجسد من خلال الجواب الذي قدمته وزيرة في الحكومة الحالية (مزور، 2023) عن سؤال وجهه نائب برلماني يوم 8 ماي 2023 حول موضوع "إلزامية استعمال جميع المؤسسات اللغة العربية في كل الوثائق والمراسلات للحفاظ على حقوق المواطنين" (الطاهر، 2023).

د- تأثيرات على الصعيد الخارجي:

يؤكد مطلق عريضة "نعم للعدالة اللغوية في المغرب، لا للفرنسة" أن هذه المبادرة كان لها بعض الوقع على المستوى الخارجي أيضا، إذ إضافة إلى الإشعاع الإعلامي الذي شهدته من خلال تناولها من طرف منابر إعلامية عربية وأجنبية، تم إطلاق حملة مماثلة في موريتانيا للتمكين للغة العربية، وتواصل أحج النشطاء الموريتانيين، وهو محمد الأمين الفاضل، مع القائمين على العريضة المغرب قصد الإفادة من تجربتها. ويشير مطلق العريضة أيضا إلى أن بعض النشطاء الذين يترافعون لفائدة اللغة العربية في تونس اقترحوا إحداث نسخة تونسية لصفحة "المنصة العربية" التي تم إحداثها بع إطلاق العريضة. ويتحدث البصري أيضا عن حملة ضغط قام بها المؤيدون للعريضة على صفحة شركة (سامسونغ-المغرب) على موقع التواصل الاجتماعي (تويتر) من أجل نشر منشوراتها عليها باللغة العربية باعتبارها تستهدف المستهلكين المغاربة لاقتناء منتوجاتها.

4. المناقشة:

تكشف نتائج الدراسة أن ضعف أداء أغلب العرائض الإلكترونية الترافعية لفائدة اللغة العربية بالمغرب يأتي نتيجة **أسباب ذاتية** باعتبارها تعاني من غياب الاحترافية وغلبة الطابع الهاوي عليها، علاوة على أنه تعوزها الاستمرارية والفاعلية وذلك بسبب العاطفة والحماسة اللحظية التي تحدو مطلقيها في البداية وعدم تملكهم للنفس الطويل. فإطلاق عريضة لا يتطلب أكثر من فتح حساب على المنصة التي تقدم هذه الخدمة وكتابة سطر أو بضعة أسطر ونشرها. على أن هناك أسبابا موضوعية تفسر عدم فاعلية العرائض من بينها كون معركة لغات التدريس لا تحظى بالأولوية على طاولة المغاربة. فإذا كانت العريضة الأكثر حشدا للتوقيعات على منصة change.org لم تتجاوز 13 ألفا و590 توقيعا، فإن هناك عرائض إلكترونية ذات صلة بقضايا أخرى تم إطلاقها على المنصة ذاتها حشدت أكثر من هذا العدد بالآلاف من قبيل عريضة بعنوان "Améliorez la connexion ADSL au Maroc" تطالب شركة مغربية للاتصالات بتحسين صبيب الانترنيت، التي حشدت أزيد من 83 ألف و500 توقيع. وعلاوة على ذلك، وبتعبير جلالة الملك محمد السادس (2015)، *"يتسابق العديد من المغاربة لتسجيل أبنائهم بمؤسسات البعثات الأجنبية والمدارس الخاصة، رغم تكاليفها الباهظة"* وذلك لأنهم *"يبحثون عن تعليم جيد ومنفتح يقوم على الحس النقدي، وتعلم اللغات، ويوفر لأبنائهم فرص الشغل والانخراط في الحياة العملية"*.

ومن الأسباب الموضوعية التي تجعل فاعلية العرائض الإلكترونية الترافعية لفائدة اللغة العربية ضعيفة، في كون التدافع السياسي والاستقطاب الذي ميز قضية لغات التدريس بالمغرب بمناسبة مناقشة مشروع القانون الإطار المتعلق بمنظومة التربية والتكوين والبحث العلمي الذي يعيب عليه مطلقو هذه العرائض تنصيصه على مبدأ التناوب اللغوي في لغات التدريس، لم يفض إلى تحقيق مطلب إلغاء اعتماد الفرنسية لغة للتدريس

في بعض المواد رغم أن ذلك تم خلال ولاية حكومة يقودها حزب العدالة والتنمية الذي طالما ترافع عن اللغة العربية داخل البرلمان وجعل من إخراج أكاديمية محمد السادس للغة العربية إلى حيز الوجود وعدا في برنامجه الحكومي دون أن يكتب لها ذلك.

ومن الملاحظات التي يمكن سَوقها حول العرائض الإلكترونية التي شملتها الدراسة كونها لم تستحضر واحدا من أهم التحديات التي تواجهها اللغة العربية الفصحى بالمغرب، ويتعلق الأمر بالدعوات المتكررة إلى اعتماد الدارجة في التعليم والإعلام والمشهد العام (بونعمان، 2014).

وفي ما يتعلق بتوظيف الإعلام الجديد، فقد عضدت نتائج دراسة الحالة ما سبق وأكدته دراسات أخرى من كون توظيف هذا الإعلام في التعريف بالعرائض الإلكترونية والترويج لها ترافعا لفائدة قضية من القضايا يساهم بشكل واضح في ضمان فاعلية ونجاعة أكبر لهذه العرائض (Aragón, P et al, 2018). كما يبرز الحضور الإعلامي للعريضة الذي شملتها دراسة الحالة، على مواقع التواصل الاجتماعي وعلى المنابر الالكترونية تمكنها من إحياء النقاش حول لغات التدريس ووجود استقطاب بين مؤيدين ومعارضين وهو ما تعكسه على سبيل المثال خانة التعليقات على مواد إعلامية نشرتها جريدة (هسبريس) الإلكترونية الأكثر متابعة في المغرب، على موقعها وكذا على صفحتها على موقع (فيسبوك) (ينظر الرابط: https://shorturl.at/nDMT4). وأثارت هذه التعليقات جملة من الانتقادات منها الاستغراب من التناقض بين الدعوة إلى تعزيز حضور اللغة الإنجليزية عوضا عن اللغة الفرنسية في المنظومة التعليمية، وهو ما يعني استبدال لغة أجنبية بأخرى. ومن الانتقادات المسجلة أيضا تغييب الحديث عن موقع اللغة الأمازيغية باعتبارها أيضا لغة رسمية ثانية للدولة بمنطوق الدستور، واللغة الأم لشريحة عريضة من المغاربة.

وباعتبار ما سبق ذكره، يمكن تلخيص الأجوبة عن الأسئلة التي طرحتها الدراسة في كون اللجوء إلى توظيف العرائض الإلكترونية للترافع عن اللغة العربية في المغرب ما زال ضعيفا من حيث عددها وقدرتها على حشد التوقيعات، فيما همت جل المطالب التي رفعتها قطاع التعليم والحد من حضور اللغة الفرنسية باعتبارها لغة تدريس للمواد العلمية. أما عن الإفادة من الإعلام الجديد، فإن الدراسة كشفت عن فاعلية عريضة واحدة انبثقت عنها مبادرات متعددة في المجال الرقمي واكبتها بعض المبادرات الميدانية.

قائمة المراجع

البصري، عبد الناصر. (2022). عريضة نعم للعدالة اللغوية في المغرب ولا للفرنسة. تم الاسترجاع من الرابط: https://shorturl.at/bvy79

بلقزيز عبد الإله (محرر). (2011). الفرنكفونية، أيديولوجيا، سياسات، تحد ثقافي–لغوي، حلقة نقاشية نظمها مركز دراسات الوحدة العربية، مركز دراسات الوحدة العربية. الطبعة الأولى. بيروت

بنيس، محمد. (2023). من التعدد إلى التعددية، محاولة لفهم رهانات السياسة اللغوية بالمغرب. الطبعة الأولى. رؤى برينت. سلا. المغرب

بوعلي، فؤاد. (2013). عريضة من أجل إخراج أكاديمية محمد السادس للغة العربية وتمكينها من شروط الاشتغال اللازمة. تم الاسترجاع من الرابط: https://shorturl.at/fFIJP

بونعمان، سلمان. (2014). النهضة اللغوية وخطاب التلهيج الفرنكفوني، في نقد الاستعمار اللغوي الجديد – حالة المغرب–. مركز نماء للبحوث والراسات. بيروت، الطبعة الأولى

التجاني، مصعب، 2020، المجتمع المدني والسياسات العمومية– الفرص والإمكانات من خلال الديمقراطية التشاركية، الطبعة الأولى، مكتبة دار السلام للنشر والطباعة والتوزيع، الرباط.

الدحماني، عبد الرحيم. (2018). الوضع اللغوي في المغرب: صدامية النص والواقع. مجلة التخطيط والسياسة اللغوية، مركز الملك عبد الله بن عبد العزيز الدولي لخدمة اللغة العربية. مج. 4، ع. 7، صص 65–82.

العياضي، نصر الدين. (2023). الميديا الاجتماعية والاستقطاب السياسي: عوائق التحول نحو مجال عمومي بالمنطقة العربية. في: مجلة الجزيرة لدراسات الإعلام والاتصال. العدد الثاني. مركز الجزيرة للدراسات. صص 205–240

غاليم، محمد. (2021). عن السياسة اللغوية في المغرب وافريقيا. مجلة الربيع. عدد 11 سنة 6. مركز محمد بنسعيد ايت يدر للأبحاث والدراسات. المغرب. صص 78–85,

الفاسي الفهري عبد القادر. (2013). السياسة اللغوية في البلاد العربية، بحثا عن بيئة طبيعية عادلة ديمقراطية وناجعة، دار الكتاب الجديدة المتحدة، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى.

الفاسي الفهري عبد القادر. (2019). العدالة اللغوية والنظامة والتخطيط. دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع. عمان. الأردن. الطبعة الأولى

الفاسي الفهري، عبد القادر. (2012). لغة الهوية والتعلم بين السياسة والاقتصاد. نموذج تماسكي تنوعي تعددي. مجلة تبين للدراسات الفكرية والثقافية. المركز العربي للأبحاث ودراسات السياسات. العدد الأول. المجلد الأول. صص 41–62

الطاهر، عبد القادر. (8 ماي 2023). سؤال كتابي بمجلس النواب موجه للوزارة المنتدبة المكلفة بالانتقال الرقمي وإصلاح الإدارة حل موضوع "إلزامية استعمال جميع المؤسسات اللغة العربية في كل الوثائق والمراسلات للحفاظ على حقوق المواطنين". تم الاسترجاع من الرابط: https://shorturl.at/vyCK1

الملك محمد السادس. (30 يوليوز 2015). خطاب إلى الأمة بمناسبة الذكرى السادسة عشرة لاعتلاء العرش.

مركز هردو لدعم التعبير الرقمي. (2018). فيس بوك بلا سياسة، التحول الهيكلي في المجال العام الافتراضي. القاهرة.

مزرو، غيثة. (20 يونيو 2023). جواب عن سؤال كتابي بالبرلمان المغربي حول "إلزامية استعمال جميع المؤسسات اللغة العربية في كل الوثائق والمراسلات للحفاظ على حقوق المواطنين". تم الاسترجاع من الرابط: https://shorturl.at/kuKW3

نبيل، ب. (2019). عريضة تدريس اللغة الانجليزية بدل الفرنسية في مدارس المغرب حق دستوري. تم الاسترجاع من الرابط: https://shorturl.at/hORY6

هسبريس. (25 غشت 2022). وسم "لا_للفرنسة" الأكثر تداولا عبر "تويتر" في المغرب ومطالب بمأسسة قطيعة مع "لغة المستعمر". تم الاسترجاع من الرابط:
https://www.youtube.com/watch?v=LYXVd6_b_JM

نعم للانجليزية بدل الفرنسية بالمغرب. (2021). عريضة اعتماد اللغة الانجليزية بدل الفرنسية بالمغرب. تم الاسترجاع من الرابط. https://shorturl.at/myCR7

Aragón, P et al. (2018). Online Petitioning Through Data Exploration and What We Found There: A Dataset of Petitions from Avaaz.org. Retrieved from: https://shorturl.at/gADHY

Avaaz (n.d.). Choosing an image. Retrieved July 3, 2023, from https://secure.avaaz.org/community_petitions/en/how_to_choose_campaign_images/

Cambridge Dictionary (2020). Cambridge: Cambridge University Press. https://dictionary.cambridge.org/dictionary/english/petition

Combs, M. C., & Penfield, S. D. (2012). Language activism and language policy. In Spolsky, B. (Ed.). The Cambridge Handbook of Language Policy, 461- 474. Cambridge, England: Cambridge University Press.

McNutt, J. G. (Ed.). (2018). *Technology, activism and social justice in a digital age.* London, UK, and New York, NY: Oxford University Press. As cited in Libby, P. (2021). The Lobbying Strategies Handbook: 10 Steps to Advancing Any Cause Effectively, second edition, Oxfrord University Press

Noshokaty, Ahmed & Deng, Shuyuan & Kwak, Dong-Heon. (2016). Success Factors of Online Petitions: Evidence from Change.org. pp 1979-1985. Hawaii International Conference on System Sciences (HICSS).

Shohamy, E. (2006). Language Policy: hidden agendas and new approaches. New York: Routledge.

Spolsky, B. (2009). Language Management. Cambridge University Press

Watson, J. & Hill, A. (2012). A dictionary of communication and media studies. London, Bloomsbury Academic.

Noshokaty, A et al. Success Factors of Online Petitions: Evidence from Change.org. Retrieved from: https://shorturl.at/dnMVZ